

تفسير ابن كثير

يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودينس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجاياء العلماء فصاروا أعمق الناس علما وأبرهم قلوبا وأقلهم تكلفا وأصدقهم لهجة وقال تعالى : { لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم } الآية وضم من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى : { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار } قال ابن عباس : يعني بنعمة الله محمدا صلى الله عليه وسلم ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره وقال : { فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون } قال مجاهد في قوله : { كما أرسلنا فيكم رسولا منكم } يقول : كما فعلت فاذكروني قال عبد الله بن وهب : عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك ؟ قال له ربه : [تذكرني ولا تنساني فإذا ذكرتني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني] قال الحسن البصري وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس : أن الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره ويعذب من كفره وقال بعض السلف في قوله تعالى { اتقوا الله حق تقاته } قال هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا عمارة الصيدلاني أخبرنا مكحول الأزدي قال : قلت لابن عمر : رأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله وقد قال الله تعالى : { فاذكروني أذكركم } ؟ قال : إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت وقال الحسن البصري في قوله : { فاذكروني أذكركم } قال : اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي وعن سعيد بن جبیر : اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وفي رواية برحمتي وعن ابن عباس في قوله : { اذكروني أذكركم } قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه وفي الحديث الصحيح : [يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه] قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [قال الله D : يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتني في نفسي إن ذكرتني في ملأ ذكرتني في ملأ من الملائكة - أو قال في ملأ خير منه - وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وإن أتيتني تمشي

أتيتك هرولة [صحيح الإسناد أخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة : ا أقرب بالرحمة وقوله : { واشكروا لي ولا تكفرون } أمر ا تعالى بشكره ووعد على شكره بمزيد الخير فقال : { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد } وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا شعبة عن الفضيل بن فضالة - رجل من قيس - حدثنا أبو رجاء العطاردي قال : خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال إن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [من أنعم ا عليه نعمة فإن ا يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه] وقال روح مرة : على عبده